كليّة الآداب والفنون – جامعة تلمسان–

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات في مقياس تاريخ الحضارة الإنسانية

السّنـة الأولى: جذع مشترك آداب المجموعة: 03

د/نجاة بلعباس

المحاضرة الثّالثة: حضارة بلاد الرافدين

1–أصل التّسمية:

هي من الحضارات القديمة كانت تُسمّى بلاد سومر أو أكاد أو أشور، أو بلاد دجلة والفرات، أي العراق حاليا، وأصل التسمية به تضارب أرجعه بعض الدارسين إلى معنى الشّاطئ، ومنهم من قال بمعنى سفح الجبل وآخرون حدّدوه بمعنى السّاحل، في حين ورد لدى البعض مستخلصا من كلمة إيراء التي عُرّبت إلى إيراك ثمّ عراق، ورجّح قسم منهم أن يكون أصل التسمية فارسيا؛ ويعني السّواد أو البلاد السفلى، وهناك تسميات أخرى من أصول متنوعة.

2– الإطار الجغرافي والتّاريخي:

تقع منطقة وادي الرّافدين في ملتقى القارات الثّلاث أوربا وآسيا وأفريقيا، فهي هبة نهري دجلة والفرات اللّذان ينبعان من جبال أرمينيا في جنوب القوقاز ويصبّان في الخليج العربي، فيجعلانها خصبة وثريّة في طبيعتها، أمّا مناخها فيتأرجح مابين المتوسّطي والصّحراوي مع بعض التغيّرات الفجائيّة.

لقد ظهرت العديد من الدّويلات ضمن بلاد الرّافدين من أهمّها:

أ–الدّولة السّومرية: والسّومريّون شعب سكنوا السّهل الجنوبي أو سهل سومر في حدود سنة 4000ق.م.

ب–الدولة الأكاديّة: سكن الأكاديّون في شمال وادي الرّافدين وبرزت دولتهم بين سنة 2300ق.م إلى 2180ق.م.

ج– الدّولة البابليّة: والبابليّون قوم هاجروا من سوريا إلى سهل سوقر في القرن 24ق.م وبعد قرنين من الزّمن أسّسوا الدّولة البابليّة.

د–الدّولة الأشورية: وهم قبائل نزحوا من شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن 20ق.م إلى شمال بلاد وادي الرّافدين ونزلوا بمكان مرتفع يُدعى أشور فعُرفوا باسمه"الأشوريون".

هـ– الدّولة الكلدانيّة: وهم قبائل ارتحلوا من بلاد أمّور حتى أواسط العراق وهناك عُرفت باسم الكلدو وإليها انتسب الكلدانيون.

3–طبقات المجتمع والدّيانة:

أ–طبقات المجتمع: يقوم المجتمع في بلاد الرّافدين على أساس الطبقيّة وهي كالآتي:

1–طبقة الملك: وهو صاحب السّلطة أو الإله على الأرض، يتم اختياره عن طريق استشارة الكهنة.

2–طبقة الأحرار: وتُسمّى كذلك طبقة النّبلاء "إميلو" وتضم الكهنة والكَتبة، والموظّفين وكذا الجيش.

ب–الدّيانة: للدّين أهميّة بالغة في حياة الشّعوب القديمة، وبالرّغم من غموض البدايات الأولى لمعالم الدّيانة ببلاد الرّافدين فإنّ الباحثين حصلوا على عدّة نصوص أثريّة أفادتنا في فهم بعض الجوانب، مثل: القصص والأساطير والتّراتيل والصّلوات، وكلّها تحمل كيفية إقامة الشّعائر والطّقوس والاحتفالات فضلا عن المخلّفات المادية كالمعابد والزّيقورات والتّماثيل وأثاث المعابد، فنجد الشّعوب قد قدّست مظاهر الطّبيعة، كما صار لكل مدينة إله خاص

بها، مثل: الإله مردوخ، أشور، عشتار...،واعتقدوا أيضا بوجود أنصاف الآلهة وأرواح الخير والشّر، فانتشرت بينهم أمور التّنجيم والعرافة والطّلاسم للتداوي، وآمنوا بوجود الحياة الأخرى بعد الموت.

4–الفنون: تعدّ الفنون المعبّر الأسمى عن فكر الإنسان وحضارته، وفنون بلاد الرافدين حملت طرازا فنيا لا مثيل له بالمنطقة ومنها نورد:

– العمارة لاسيما الدّينية منها: كالمعابد والمقابر"الزاقورات"، أشهرها برج بابل ويتكوّن من خمس طبقات يعلوها المعبد، ومن المعابد ما كان يأخذ شكل الهرم المتدرّج، بالإضافة إلى القصور منها قصر "خورساباد"، قصر"بابل الكلدانية" مزيّنين تلك العمائر بالزّخارف والرسوم الجدارية.

– النّحت؛ لاسيما التماثيل دقيقة الصّنع المغلفة بالمعادن النفيسة والمعبودة في سومر وبابل، بالإضافة إلى مختلف اللّوحات الدّينية المنحوتة وصناعة الخزف وسائر الأختام الأسطونية.

– الفنون التطبيقية بالمعادن المختلفة من حديد ونحاس وذهب وفضّة وأحجار... فصنعوا الأواني والحلي والآلات الموسيقية والأسلحة والتّماثيل.

–عرفوا أيضا الموسيقى والغناء وسخّروها خدمة للدين بالمعابد تقربا للآلهة، ودليل ذلك ما عثر عليه علماء الآثار من آلات موسيقية ونصوص غنائية مكتوبة.

–أتقنوا فنّ الكتابة أيضا لحفظ آثارهم ابتداءً بالسّومريين ثم الأكاديّين وعملوا على تطويرها، فأصبحت أيسر استعمالا وعُرفت باسم الكتابة المسمارية، فخلّفوا إرثا أدبيا مكتوبا غزيرا ومتنوعا.

5– الفكر والعلوم:

–عرف السومريّون والبابليون سائر أشكال الأدب فدوّنوه بالكتابة المسمارية ضمن مختلف القضايا الدّينية والفكرية بنوعيه الشّعر والنّثر الأدبي، فغلّبوا الجانب الدّيني الأسطوري على الجوانب الدّنيوية.

-برعوا كذلك في علم الطّب والصّيدلة لعلاج الأمراض ومنعها، بعدما كانت مرتبطة بالسحر والخرافات فاستعملوا النّباتات الطبيّة والعقاقير والزّيوت، كما وضعوا القوانين المحددة لهذه المهنة لاسيما ذلك في شريعة حمّو رابي.

-أتقنوا الرياضيات على شكل جداول رياضية، وكذا قضايا علمية فشملت المربّعات والمكعّبات والجذور الأساسية وقوائم الأعداد.

-ظهر علم الفلك بعد علم الرياضيات فاهتم الفلكيّون بالظّواهر المُلاحظة في السّماء خاصة حركة الكواكب والقمر، وحركة النّجوم للتنبّؤ ومعرفة الوجهات المختلفة.

-كما اهتمّوا بالتقويم وحركة تعاقب اللّيل والنّهار وتقسيمات الأيّام والأسماء النّجمية لها وبحثوا في مختلف الحسابات الفلكيّة.

-أجادوا الكيماء واستعملوها في المركبات المعدنية والنّباتية، كما أتقنوا أساليب تركيب المعادن ومزجها وصهرها للحصول على معادن أقوى كالبرونز وغيره.

-للاستزادة يمكن للطّلبة الاطّلاع على المؤلّفات الآتية:

- العلوم والمعارف في حضارة وادي الرّافدين ووادي النّيل في العصور القديمة، قيس حازم توفيق.
- الفنون القديمة في بلاد الرافدين، حسن باشا.
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة-تاريخ العراق القديم- ، طه باقر.
- رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضارته، خليفة محمد حسن.